﴿* فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم: 22]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

عند ظهور سموِّ المقصدِ تُذعنُ النّفوسُ المؤمنة

لمّا ذَكَرتِ الآيةُ السّابقة ما قاله جبريل، وسمعت مريمُ ما قاله ﷺ لها، بيّنت هذه الآية أنّها قد اطمأنّت إلى ما قال فأذعنت واستسلمت لقضاء اللّه تعالى وأمرِه، فنفخ جبريلُ في جيب دِرْعها، فبلغت تلك النّفخةُ جوفَها، فحملت الغلام[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾: (نبذ) أَصْلٌ يَدُلُّ على طَرْحٍ وإلْقاءٍ، ونَبَذْتُ الشَّيْءَ أَنْبِذُهُ نَبْذًا: أَلْقَيْتُهُ مِنْ يَدي[2]، النَّبْذُ: إلقاءُ الشّيء وطَرْحُه لقلّة الاعتداد به، وانْتَبَذَ فلان: اعتزلَ اعتزالَ مَن لا يقلّ مبالاتُه بنفسه فيما بين النّاس، قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾، وقعد نَبْذَةً ونُبْذَةً، أي: ناحيَةً معتزِلةً[3]، وانْتَبَذَ عَنْ قَوْمِهِ: تَنَحَّى، وانْتَبَذَ فُلانٌ إلى ناحيَةٍ، أَي: تَنَحَّى ناحيَةً[4]، أي: منفردًا بعيدًا، والمراد به في الآية: أنّها تنحّت منفردةً مَكانًا بعيدًا حياءً وفِرارًا على وجهها[5].

2) ﴿قَصِيًّا﴾: (قصو) أَصْلٌ يَدُلُّ على بُعْدٍ وإبْعادٍ، مِنْ ذَلِكَ القَصا: البُعْدُ، وهوَ بالمَكانِ الأَقْصَى والنّاحيَةِ القُصْوَى[6]، وقولهم: قَصَوْتُ البعير: قطعتُ أُذُنَه، والقَصِيَّةُ مِنَ الإبلِ: البعيدةُ عنِ

(1) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 330 - 331، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 16/ 44.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نبذ).
(3) الرّاغب، المفردات: (نبذ).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (نبذ).
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 10.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قصو).

الاستعمال[1]، والقَصيّ: الطَرَفُ البَعيد مِن شيءٍ ممتدٍّ، ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[2]، يقال: قَصَوْتُ عنه، وأَقْصَيْتُ: أبعدتُ، والمكان الأَقْصَى، والنّاحيَةُ القُصْوَى، ومنه قوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: 20]، وقوله: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: 1] يعني: بيت المَقْدِس، فسمّاه الأَقْصَى اعتبارًا بمكان المخاطَبين به مِنَ النّبيّ ﷺ وأصحابه، وقال: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ [الأنفال: 42]، والمراد به في الآية مكانًا بعيدًا عن مكان أهلها[3].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ظـهـور الـحَـمـلِ واعتزالُ النّاسِ

يخبر النّظمُ الجليل في هذه الآية أنّ مريم ﷺ لم تلبث بعد ذلك إلّا يسيرًا فظهر حملُها، فحملت بالغلام بعد أن نفخ جبريلُ في جَيْب قميصها، فوصلت النّفخةُ إلى رَحِمها، فوقع الحملُ بسبب ذلك، فتباعدت بالغلام وهو في بطنها عن النّاس إلى مكانٍ بعيد[4].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### دلالة الفاء في قوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾:

سـرعـةُ تحقيقِ مُراد الله تعالى

افتتح النّظمُ الجليل الجملةَ بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾، وهي الفاء الفصيحة الدّالّةُ على وجود محذوف، وتقدير الكلام: فاطمأنَّتْ إلى قوله، فنفخ في جيب دِرْعها فحملتْهُ[5]، كما أنّها تدلّ على التّفريع والتّرتيب؛ أي: فترتّب على تلك المراجعة أنّها حملت به مِن فورها[6]، والعطفُ بالفاء دالٌّ "على سرعة تسبيب الحملِ عن هذا القول، وإن كان التّقدير بما

(1) الرّاغب، المفردات: (قصى).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قصو).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 84.
(4) جماعة من العلماء، التّفسير الميسّر: 1/ 306.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 27.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 84.

أرشد إليه في غير هذه السّورة: فنفخ في دِرعها فوصل النّفخ إلى جوفها، فحملته"[1].

### سِرُّ التّعبير بالإضمار دون الإظهار:

لسبق ذِكْره، ولمُراعاة أمرِ الحَمل

جاء التّعبير القرآنيّ بالإضمار في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ دون الإظهار بأن يقول: (فحملتِ الغلامَ)، وذلك لسبق ذِكْره قبلَ ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾، ولمراعاة أمر الحَمل، فهو مبنيٌّ على الخفاء؛ لأنه لم يَظْهَرْ بعدُ كغلام، فناسب التّعبير بالإضمار.

### دلالةُ الفاء في قوله: ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾:

المبادرة بالانعزال دفعًا لسوء المقال

آثَرَ النّظمُ الكريم العطفَ بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾؛ للدّلالة على أنّها بعد الحمل قدِ اعتزلت إلى المكان القَصيّ بلا مهلةٍ ولا تأخير، فالانتباذ كان عَقِبَ الحَمل[2]، كما أنّه يَدُلّ على التّرتيب، أي: فترتّبَ على حملها بالغلام أنّها انتبذت وفارقت أهلَها، وانفردت إلى مكانٍ قصيّ، وهذا يدُلُّ على أنّ الحمل وقع قبلَ طلبِها الانفرادَ، وأنّ الحمل بعيسى قد حدث مِن فور نفخ المَلَك فيها.

### سِرُّ التّعبير بالانتباذ في: ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾:

الانتباذ دالٌّ على الابتعاد معَ الانفراد

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ الانتباذ دونَ الابتعاد في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾؛ لأنّ الانتباذ يدُلُّ على الانفراد لا مطلقِ البُعْد، أي: أنّها لم تبتعد وحسب، بل كانت منفردةً بابتعادها، ويظهر أنّ المقصود ليس الابتعاد، بل أن تكون منفردةً لما أحسّت به مِن أمر الحمل، ممّا يُعَرّضها للقيل والقال؛ لذلك آثَرت أن تنتحيَ ناحيةً بعيدةً عن أهلها، بحيث لا يراها أحدٌ منهم، فضلًا عن غيرهم مِنَ النّاس، وهذا لا يتحقّق إلّا بالابتعاد عنِ الاختلاط

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 12/ 187.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 187.

بالنّاس، وفي ذلك تصويرٌ لشِدّة معاناتها؛ إذ تنعزل عنِ الأهل وهي في حملٍ يُحْوجُها إلى الاستعانة برفيق، وكلّ ذلك يُصَرّح بمكانة مريم عليها السلام وفضلِها.

**دلالة التّعبير بالجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾:**

وجـود الحمل سببٌ للاعتزال

عبّر النّظم الجليل بشبه الجملة في قوله تعالى: ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ للدّلالة على أنّها اعتزلت وانفردت في ذلك المكان البعيد وهو في بطنها حال حملها به[1]، "فالجارُّ والمجرور في حيز النصبِ على الحاليَّة أي فانتبذت ملتبسةً به"[2]، وأجاز بعض أئمّة التّفسير أن تكون الباء للسّببيّة أي "لمّا صارت حاملًا به، اعتزلت بسببه مكانًا بعيدًا من قومها، فرارًا من القالة"[3].

**دلالةُ التّعبير بـ: ﴿مَكَانًا﴾:**

فـارقـت أهلَـها وانـــفـــردت وحـيـدةً؛ تلبيةً لأمر ربّها

صرّح النّظمُ الكريم بلفظ المكان وصِفتِه في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ مع أنّ ذلك ظاهرٌ من قوله: ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾؛ تأكيدًا لانفصالها عن أهلها، وفراقها لهم منفردةً في مكانٍ قَصيّ؛ إظهارًا لشِدّة حالِها، وتسجيلًا لعاملٍ من عوامل معاناتها، فهي لتلبية أمرِ ربّها تعالى اضطرّت لمفارقة الأهل والانفراد وحيدةً في مكانٍ قَصيّ، محتجبةً به عنِ النّاس.

**سِرُّ التّعبير بقوله: ﴿قَصِيًّا﴾:**

البحثُ عنِ الملاذ الآمن

دلّ التّعبيرُ بـ ﴿مَكَانًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ على تنحّيها عن مكان أهلها وانقطاعها عنه، وكلُّ شَيْءٍ تَنَحَّى عَنْ شَيْءٍ فقَدْ قَصا[4]، والقَصيَّةُ مِنَ الإبلِ: البعيدةُ عنِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 187.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 261.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 90.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (قصا).

الاستعمال[1]، والقَصيُّ: الطَرَفُ البعيد مِن شيءٍ ممتدٍّ[2]، فهو دالٌّ على الانقطاع عنِ المكان الذي صار قاصيًا بالنّسبة إليه، وهذا يدلّ على أنّها قدِ انقطعت في مكانٍ على ناحيةٍ أُخرى مِن مكان أهلها، ولعلّ السّببَ في بُعْدِها عنِ النّاس؛ لتَسْلَمَ مِن كثرة أسئلتهم، وفضولِ أقوالِهم عن حملها وكيفيَّته، كما أنّ فيه محافظةً على الفاصلة والنّسق الصّوتي، فتبقى خاتمةُ الآيات الصّوتيّة على وتيرةٍ واحدةٍ، وهو أدعى لاستجلاب السّمعِ، وتنبيهِه على معالم القِصّة، فالفاصِلة لها أثرٌ بلاغيٌّ رفيع، يَحْسُن الاهتمامُ به، والمحافظة عليه.

### دلالة توالي الفاءات:

السُّرعة والتّرتيب

دلّ توالي الفاءات: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ﴾...﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾، في هذا المشهد من حمل مريم ﷺ على السّرعة والتّرتيب، ممّا جعل بعضَ العلماءِ يرى أنّها حملت فوضعَتْ في الحال دونَ تأخير، على أنّه أمرٌ خارقٌ للعادة، إلّا أنّه لا يوجدُ عليه دليلٌ مِنَ القرآن أوِ السّنّةِ الصّحيحة؛ لذلك الأَوْلَى في القبول أن يكون الحَملُ على المعتاد مِن تسعة أشهر حتّى يأخذَ الجنين أطوارَه، ويكون في ذلك تهيئةٌ لمريم ﷺ مِن النّاحية النّفسيّة والجسديّة، ويكون التّعبير بالفاء من باب الدّلالة على المراحل في الخَلْق، كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14] الآية، ومع هذه الفاءات فالحَملُ مَرّ بأطواره الطّبيعيّة.

### سِرّ اختلافِ التّعبير:

النّاظر في قصّة مريم ﷺ في هذه السّورة يجد حديث القرآن عنِ انتباذها واتِّخاذها مكانًا تنتبذ فيه، وُصِفَ مَرّةً بأنّه شَرقيّ، في

(1) الرّاغب، المفردات: (قصى).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قصو).

قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، ومَرّةً بأنّه قَصيٌّ، في قوله تعالى: ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾؟

والسّببُ في ذلك اختلافُ المواقفِ؛ ففي المَرّة الأولى كان انتباذُها في بيتها أو المسجد، والغَرَض مِن ذلك خَلْوَتُها للعبادة؛ أمّا في المشهد الثّاني فكان بعد الحَمل، وهو أمرٌ عظيم لا تستطيع أن تواجِهَ النّاسَ به؛ فضلًا عن أهلها، لذلك كان الوصفُ للمكان بالقَصيّ مبالغةً في البُعْد عنِ الاتِّهامات؛ فناسبَ الوصف للمكان مراعاةً للسّياق الذي قيلت فيه.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### الانتباذُ والابتعاد:

الانتباذُ بُعْدٌ مع انفراد، يقال: انْتَبَذَ عَنْ قَوْمِهِ: تَنَحَّى، وانْتَبَذَ فُلانٌ إلى ناحيَةٍ، أَي: تَنَحَّى ناحيَةً[1]، أي: منفردًا بعيدًا، والمُراد به في الآية: أنّها تنحّت مَكانًا بعيدًا حياءً وفِرارًا على وجهها[2]، فالانتباذ: ابتعادٌ مع انفراد، فهو ليس مطلقَ الابتعاد، وهو الأنسبُ في التّعبير في سياق الآية، فهي لم تبتعد وحسبُ، بلِ انفردَت.

**الانتباذُ أَخَصّ مِنَ الابتعاد، فهو ابتعادٌ مع انفراد**

(1) ابن منظور، لسان العرب: (نبذ).
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 10.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»